الفكر السياسي عند ابن خلدون (1332–1406م)

يُعدّ عبد الرحمن بن خلدون المؤسس الحقيقي لـ **"علم العمران البشري"** والاجتماع السياسي. أحدث ابن خلدون ثورة فكرية بنقله الفلسفة السياسية من إطارها المثالي أو الفقهي التكليفي إلى إطار التحليل الاجتماعي المادي والسنني الذي يستند إلى واقع الدولة وكيفية نشوئها واستقرارها ثم سقوطها.

أولاً: أركان الفكر السياسي الخلدوني (العصبية والملك)

يقوم الفكر السياسي الخلدوني على تحليل القوى المادية والنفسية التي تُنتج السلطة وتصنع الممالك:

- **مفهوم العصبية:** هي الرابطة الاجتماعية والنفسية الناتجة عن النسب أو الحلف، وتولّد التضامن والقدرة على القتال. يرى ابن خلدون أن العصبية هي القوة المحركة والأداة الوحيدة للوصول إلى الملك واستبقائه.
- **تآزر الدين والعصبية:** أكد أن الدين بمفرده لا يبني دولة دون عصبية تسانده، لكن الدين إذا خالط العصبية أزال ما فيها من تحاسد وتنافس، وضاعف القوة القتالية والسياسية للجماعة.
- **الملك هو غاية العصبية:** السلطة والملك هما النتيجة الطبيعية لاشتداد العصبية؛ فإذا تغلب حلف أو قبيلة، استأثر رؤساؤها بالحكم وتحولوا من قيادة عشائرية إلى ملك وسيادة.

ثانياً: أطوار الدولة المتعاقبة (دورة حياة السلطة)

صاغ ابن خلدون نظريته الشهيرة في أن للدولة عمراً طبيعياً (يقدره بـ 120 سنة تقريباً) تمر خلاله بخمسة أطوار رئيسية:

1. **طور الظفر والاستيلاء:** مرحلة التأسيس القائمة على قوة العصبية، الخشونة البدوية، والتشارك في المجد والقرار.
2. **طور الاستبداد والانفراد:** مرحلة كبح أيدي العشيرة، والانفراد بالسلطة، واصطناع الموالي وجند المرتزقة بدلاً من أبناء العصبية.
3. **طور الفراغ والدعة:** مرحلة تحصيل ثمار الملك، الاهتمام بالعمران، جباية الأموال، والاستمتاع بالاستقرار والفخامة.

ثانياً (متابعة): الأطوار الختامية وهرم الدولة

- **4. طور القنوع والاستكانة:** مرحلة الخلود للمسالمة، وتقليد السلف دون إبداع، وتراجع الشجاعة وفقدان العصبية بسبب الترف.
- **5. طور الإسراف والانقراض:** تبديد الثروات على الملاذات، إرهاق الرعية بالضرائب، وانهيار الجيش والدولة حتى تتلاشى أو تسقط أمام عصبية جديدة.

ثالثاً: الاقتصاد المالي وقاعدة "الظلم مؤذن بخراب العمران"

ربط ابن خلدون التطور السياسي والتحول العمراني بالسياسات المالية للدولة:

- **ديناميكية الضرائب والجباية:** في أول الدولة تكون الضرائب قليلة والجباية كثيرة لانتشار النشاط الاقتصادي. ومع نمو الترف وازدياد نفقات الحاكم، تُفرض الضرائب والمكوس الباهظة، مما يثبط التجار والزارعين ويؤدي للكساد.
- **خطر الظلم على الدولة:** رأى أن الاعتداء على أموال الناس وحقوقهم يُسقط دافع الإنتاج والعمل، وهو ما يؤدي حتماً لتراجع العمران وانهيار السلطة.

رابعاً: أنواع الحكومات وأشكال السياسة

صنّف ابن خلدون نظم الحكم والأنظمة السياسية إلى ثلاثة أشكال رئيسية:

- **1. الخلافة (الملك الشرعي):** الحكم بمقتضى الشرع الإلهي لضمان المصالح الدنيوية والأخروية للعباد.
- **2. الملك السياسي (السياسة العقلية):** الحكم بمقتضى العقل والقوانين البشرية لتنسيق مصالح الدنيا وتدبير المعاش.
- **3. الملك الطبيعي (الاستبدادي):** الحكم القائم على القهر والغلبة وتلبية أهواء ورغبات الحاكم الفردية.

الرؤية الخلدونية لتحولات السلطة والمجتمع

المرحلة / الطور	وضع العصبية والعمران	الأثر السياسي والمالي
البداية والتأسيس	عصبية قوية، تقشف، وبساطة بدوية	عدل، ضرائب قليلة، جباية مرتفعة، وتوسع سياسي.
الازدهار والاستقرار	بداية انحسار العصبية وتشييد العمران	مركزية السلطة، نمو الترف، واستقرار المؤسسات.
الهرم والسقوط	تفكك العصبية والغرق في الترف	ضرائب باهظة، ظلم، كساد اقتصادي، وانهيار الدولة.

خلاصة الفلسفة السياسية: *صاغ ابن خلدون رؤية علمية تفسر الدولة ككائن حي يخضع لقوانين التطور الاجتماعي؛ حيث تحمل الدولة في مرحلة قمة تألقها وازدهارها بذور انحلالها وسقوطها.*